الباب الثاني

أعلام الشعر في بلاط سيف الدولة

١ أبو الطيب المتنبي

٢ أبو فراس الحمداني

٣ أبو العباس النامي

٤ ابن نباتة السعدي

٥ أبو بكر الصنوبري

٦ أبو الفتح كشاجم

٨ الخالديان أبو بكر وأبو عثمان

٩ السري الرفاء

١٠ أبو الفرج الببغاء

١١ الوأواء الدمشقي

- ١ -

الباب الثاني

أعلام الشعر في بلاط سيف الدولة

تمهيد :

كان بلاط سيف الدولة ميدان سباق بين الشعراء والعلماء والأدباء فسارع كل شاعر إلى ساحته لينال عطاء الأمير ويحصُلُ على صِلاته ، فكثُر الشعراء في عهد سيف الدولة كثْرة نادرةً فلم يجتمع قط بباب واحد من الملوك بعد الخلفاء كما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر [١] . ولقد ضم بلاطُه أعظمَ شعراء العربية في عصره من مختلف الأقطار فكان في بلاطه المتنبي وأبو فراس والصنوبري وكشاجم والسريّ الرفّاء والوأواء الدمشقي والنامي والخالديّان وابنُ نَباتَة السعدي والسّلامي وغيرُهم ووفد عليه من أرض الكنانة أكثر من شاعر كالمُغَنَّم المصري ومحمد بن سُلْمِيّ الشيباني [٢] وابن أبي الجوع عبيد الله ابن محمد بن أبي الجوع [٣] .

وقد اختار أبو الحسن الشمشاطي وأبو محمد الفياض الكاتبُ من مدائح سيف الدولة عشرة آلاف بيت [٤] .

---

(١) اليتيمة (١ / ١١) .
(٢) الفهرست لابن النديم ص (٢٤٠) .
(٣) اليتيمة ط ٢ (١ / ٤١١) .
(٤) اليتيمة (١ / ١١) .

والحقيقة أن كثرة الشعراء في رحاب الأمير الحَمْدانيّ جنت على عدد كبير فحُشروا مع النكرات الشعرية ، فكان إلى جانب الشعراء المشهورين عشرات من الشعراء المغمورين الذين لم تُعْنَ بهم مصادر الأدب والتاريخ إلاّ لماماً .

ويرى المرحوم الأستاذ العقاد : أنه في القرنين الثالث والرابع أوشك كل متعلمٍ متأدّبٍ أن يكون شاعراً ينظم الأبيات والمقاطع في بعض أغراض الشعر ، فالخلفاء ينظمون في الغزل والغناء ، والأمراءُ والوزراءُ والقوادُ والكتّابُ والقضاةُ كانوا يتطارحون الأشعار ويحفظون منها الشيء الكثير لذلك عاش في هذين القرنين كثرةٌ فائقةٌ من قائلي الشعر المحسنين محترفين وغير محترفين[1]. ويمكننا أن نقول: أن مدرسة شعرية كثيرة الطلاب والفصول والأساتذة قد ظهرت في بلاد الشام في عهد سيف الدولة وقد اختلفت هذه المدرسة عن غيرها ، وتنافس أعلامها وفحولها في إبراز الشعر الرفيع ونسج اللفظ البديع ذي المعنى الجديد والفكر الوطيد وأصبحت جواهر الشعر لا تروج في بلاط الأمير إلاّ إذا كانت ذات طابع ممتاز ورواء أخاذ في التصوير والتفكير والتعبير .

وهذه المدرسة الشعرية التي امتازت بحسن السبك وجمال الحوك . وانفردت بالإشعاع ذي الإبداع كان الصاحب ابن عباد يعجب بها وبطريقة شعرائها المثلى التي كانت سبيل البحتري في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة ومن هنا كان شديد الحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، كثير الشغف باستملاء الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع والروائع حتى كتب دفتراً ضخم الحجم منها .

---

(١) ابن الرومي ــ العقاد ــ ص (٤٤) .

وكان حفياً بمصاحبته ، حريصاً على ألاّ يتملأ منه أحد سواه وانثال ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي شبا قلمه ليحاضر به في مخاطباته ومحاوراته أو ينشره بعد أن ينثره في رسائله [1] .

وسنعرض بالبحث الفاحص والدراسة الماحصة لحياة فحول هذه المدرسة الشعرية التي عاشت في القرن الرابع بأطراف الشام والتي ضمت شاعر العربية الكبير المتنبي وزميله أبا فراس الحمداني وكشاجم والصنوبري والسري الرفاء والنامي والوأواء وغيرهم من أعلام الشعر وسادته وقادته وسوف نلقي عليهم الأضواء ونسلط الأنوار بعد أن كادت شهرة المتنبي تشجب وجودهم وتحجب شهرتهم وتمنع الالتفاف إليهم أو العناية بهم . ولقد غطى المتنبي على جميع مزامنيه من الشعراء ولم يذكر منهم بجانبه إلاّ أبو فراس الحمداني ، وذلك لقرابته من الأمير وجزالة شعره الأثير ولولا مكانته من السلطان لاختفى اسمه كما اختفى غيره من الشعراء [2] .

وقد اضطررنا إلى إجمال الحديث في هذا الباب دون ذكر فصول لأن كل شاعر من هؤلاء الأعلام يمثل بحثاً مستقلاً وقد تعرضنا لأحد عشر شاعراً بالدرس والتحليل واكتفينا باسم كل منهم ليكون عنواناً خاصاً يقوم مقام الفصل في هذا المجال الفسيح .

---

(١) اليتيمة (١ / ١٣) .
(٢) العمدة (١ / ١٣) .

— ١ —

المتنبي

أبو الطيب المتنبي شاعر العربية الكبير سفر خالد في تراثنا الأدبي كتبت عنه مجلدات ضخمة ولا تزال حياته تستهوي الباحثين والدارسين ولست هنا بصدد تأريخ حياة الشاعر الكبير ولكن صلته بسيف الدولة تدفعني إلى أن ألمّ بحياته وجوانب إبداعه الفني في البلاط الحمداني .

والمشهور في نسب المتنبي أنه أحمد بن الحسين بن الحسن عبد الصمد الجعفي الكندي [١] .

وقد ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها وليس من كندة القبيلة العربية المعروفة بل هو جعفي النسب من مذحج [٢] وقد أخطأ بعض المؤرخين فظنها كندة القبيلة التي منها امرؤ القيس حيث قال « بدىء الشعر بكندة وختم بكندة يعني امرؤالقيس والمتنبي [٣] » ولقد كان المتنبي يخفي نسبه دائماً لأمر في نفسه ، ولما سأله التنوخي عنه لم يجب وقال : أنا رجل أنزل دائماً على القبائل والأعراب وأطوي البوادي وحدي ومتى انتسب لا آمن أن يكون لبعض الأعراب ثار في قومي فيأخذوني بهم ، وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ولا يخافون لساني [٤] . ويرى الدكتور عبد السلام سرحان أن هذا الاعتذار يكاد يكون مقبولاً فإن عصره كان عهد فتن وثورات

---

(١) وفيات الاعيان (١ / ٤٤) تاريخ بغداد (٤ / ١٠٢) .
(٢) شذرات الذهب (٣ / ١٤) .
(٣) وفيات الاعيان (٢ / ٥٤٢) .
(٤) نشوار المحاضرة (٤ / ١٢٠) .

دينية وسياسية واجتماعية وكان النزاع بالغاً أشدّه بين القبائل العربية وبين العرب وسواهم ولقد أحسن في إخفاء نسبه من نواح أخرى فهو رجل عظيم النفس عالي الهمة كبير الآمال كثير الأعداء ومن الصعب أن يعترف بنسب لا يرفع رأساً ولا يورث مجداً لأن أهله فقراء والمال عصب الحياة وسبيل الجاه في ذلك العصر [1] .

روى الخطيب البغدادي عن أبي الحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي قال كان المتنبي وهو صبي ينزل في جواري بالكوفة وكان أبوه يعرف بعبدان السقا ويسقي لنا ولأهل المحلة . . . وكان عبدان والد المتنبي يذكر أنه من جعفى بن سعد العشيرة وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا أشك فيها وكانت جارتنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات [2] وقال ابن نباتة وقيل أن أباه كان يسمى عبدان السقاء وهو رجل كان يسقي الماء على جمل له بالكوفة [3] . ويذهب إلى هذا القول نفسه ابن خلكان [4] ويشك الثعالبي في صحة هذا القول ويذهب إلى أن ابن لنكك أحد شعراء البصرة هو الذي شمت بالمتنبي بعد وقيعة شعراء بغداد فيه بإغراء الوزير المهلبي لأن المتنبي ترفع عن مدحه وذلك قبيل سفره إلى بغداد فقال زاعماً – والعبارة للثعالبي – إن أباه كان سقاء وسجل ذلك في قوله :

قولا لأهل زمان لا خلاق له ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيمُ المتنبي فـوقَ منيتـه فزوجوهُ بـرغمِ أمهـاتكم
لكنّ بغدادَ جاد الغيث ساكنها نِعالُهم في قَفا السقاء تزدحمُ [5]

ويرى الدكتور عمر فروخ أن هذا الزعم باطل إذ أنه عثر في قاموس

---

(١) أبو تمام والبحتري والمتنبي بين حقائق الحكمة وخيالات الشعر – عبد السلام سرحان – خ – ص (٣٦٧) .
(٢) تاريخ بغداد (٤ / ١٠٣) .
(٣) سرح العيون ص (١٦) .
(٤) وفيات الاعيان (١ / ٤٦) .
(٥) يتيمة الدهر (١ / ١٠٠) .

الفيروزابادي على عبارة بهذا النص . إن عبدان السقّاء بالكسر لقب والد المتنبي فقال يبدو لي أن والد المتنبي كان طويل الأطراف دقيقها لذلك شبه بعيدان السقا وهي العيدان أو العصي التي تُنصَبُ ليقام عليها السّقاء ، فلا يكون حينئذ لهذا اللقب صلة بسقي الماء ولا بالفقر والغنى والحمول والشهرة[1] .

ومهما يكن من أمر فإن شاعرنا عربي الأب والأم ولا يعيبه إن كان من بيت فقير ، ومن الحق أن أهله شرفوا به وارتفع مجدهم على أكتافه .

نشأته :

ولد المتنبي بمحلة كندة في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً[2] . وفي هذا الكُتّاب تعلم القراءة والكتابة[3] وقد امتاز أثناء دراسته بالذكاء النـــادر والذهن المتوقد والشغف الشديد بالعلم[4] . وذهب في صباه إلى البادية وصحب الأعراب ثم عاد إلى الكوفة بعد سنين بدوياً فحّاً[5] .

وبعد أن قضى فترة صباه بالعراق متنقلاً بين ضواحي الكوفة والبوادي المحيطة بها وواردا بغداد سنة ٣١٩ هـ لما أغار القرامطة على الكوفة سافر أبوه إلى بلاد الشام سنة ٣٢١ هـ[6] .

ويقول الثعالبي عن نشأة أبي الطيب : ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في سنة ثلاث وثلثمائة وأن أباه سافر به إلى بلاد الشام فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ومن مدرها إلى وبرها ويسلمه إلى المكاتب ويردده في القبائل ومخايله نواطق الحسنى عنه وضوامن النجح فيه حتى توفي أبوه ، وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع[7] .

---

(١) فن المتنبي بعد الف عام ــ ابراهيم العريض ص (٦٠) .
(٢) خزانة الأدب ــ البغدادي ــ (١ / ٦) .
(٣) الصبح المنبي (١ / ٦) .
(٤) سرح العيون ص (١٦) .
(٥) تاريخ بغداد (٤ / ١٠٣) .
(٦) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ــ الصاحب بن عباد ص (١٢) .
(٧) اليتيمة (١ / ١١٢) .

ويرى الأستاذ عبد الوهاب عزام أن قول الثعالبي هذا وهم لأنه من المؤكد تاريخياً أن المتنبي قد نزح إلى بلاد الشام وهو في ريعان الشباب .

وقد خرج المتنبي إلى بني كلب وأقام فيهم ويزعم بعض أهل الأدب أنه ادعى النبوة لما كان بالبادية وكثر أتباعه وأشياعه . وقد سجن من أجل ذلك وفي هذا كلام كثير ليس هذا محله . والذي لا شك فيه أن المتنبي سجن بالشام في شبابه ويتفق على هذا شعر أبي الطيب ورواة سيرة حياته ، وأما الجناية التي سجن من أجلها ففيها اختلاف كبير فبعض الرواة ذهب إلى أنه ادعى النبوة وبعضهم يرى أنه ذهب مذهب العلوية وبشر في حقهم بالخلافة وطغيان بني العباس عليهم . والمتنبي نفى عن نفسه هذه التهمة ولم يرضَ بها ، قال له بعض الأكابر في مدينة السلام أخْبِرْني من أثق به أنك قلت إنّك نبي . فقال الذي قلته أنا أحمد النبي [1] .

ويرى الدكتور طه حسين أن سبب سجن المتنبي هو آراؤه الثورية التي ضمنها شعره واستهانَتُه بالقواعد الدينية وتشبيهه المسلمين باليهود والقرود ودعوته الناس إلى تلك المبادىء الخطرة التي عرفت عن القرامطة [2] . وكذلك أنكر نبوته الأستاذ عبد الوهاب عزام [3] ويرى الدكتور عبد السلام سرحان أن أسباب سجنه هي استعداده للخروج على الدولة وإلهابه نفوس الشباب من لداته وتهوين الموت في سبيل المجد واجتماع كثير من شباب البادية حواليه إعجاباً بشجاعته وأدبه ومبادئه الثورية [4] . كما أنه يرجح أن المتنبي سجن سنة ٣٣٠ هـ أو بعدها بقليل .

---

(١) شرح ابن جنى (ص ٩٩) .
(٢) مع المتنبي ص (١٦٦) .
(٣) ذكرى أبي الطيب ص (٧٢) .
(٤) أبو تمام والبحتري والمتنبي بين حقائق الحكمة وخيالات الشعر ـ عبد السلام سرحان ـ خ ـ ص (٣٦٧) .

ولما خرج المتنبي من سجنه هام على وجهه في بلاد الشام متكسباً بشعره يقصد الممدوحين فيخيبون رجاءه أو يعطونه نزراً فيثور ثم تضطره الحاجة إلى المدح . ومن أشهر ممدوحيه قبل اتصاله بسيف الدولة بدر بن عمار الأسدي نائب ابن رائق في طبرية ومساور بن محمد الرومي والي حلب وسعيد ابن عبيد الكلابي والحسين بن عبيد الله بن طغج بن أخي الإخشيد وطاهر العلوي وعلي بن إبراهيم التنوخي ومحمد بن زريق الطرسوسي وغيرهم .

واتصل المتنبي بأبي العشائر والي إنطاكيّة سنة ست وثلاثين وكان أبو العشائر والياً على إنطاكيّة من قبل سيف الدولة فلما قدم الأمير الحمداني إنطاكيّة سنة ٣٣٧ هـ قدّم أبو العشائر إليه أبا الطيب واثنى عليه . وقال صاحب الصبح المُنْبي [١] واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلاّ وهو قاعد وألاّ يكلّف تقبيل الأرض بين يديه فنُسِبَ إليه الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثماني سنوات وقد قربه سيف الدولة وأجازه الجوائز السنية ومالت نفسه إليه وأحبه واكتفى منه في العام بثلاث قصائد يجيزه عليها بثلاثة آلاف دينار [٢] .

ولبث المتنبي مع سيف الدولة مدة طويلة وقال فيه نحو ثلث شعره كماً وأجوَدَه كيفاً وقد قال في هذه الفترة أروع شعره في تصوير معارك سيف الدولة وحروبه إذ كان يشهد المواقِع وكان يبدي ضرروباً من البطولة ولكنه اضطرّ لترك حلب عندما لم يكبح الأمير جماح المتطاولين عليه وقد فارقه لأنه سمح لابن خالويه النحوي أن يضربه بمفتاح كان في يده حينما اشتد الجدل بينهما في مجلسه على مسألة في علم النحو ، فتوجه إلى دمشق سنة ٣٤٦ هـ

---

(١) الصبح المنبي (١ / ٦٦) .
(٢) الصبح المنبي (١ / ٦٥) .

ومنها يمّم شطر مصر فتلقاه كافور بالتكريم والتبجيل فمدحه بمدائح بالغ فيها مبالغات كبيرة ووعده بإحدى الولايات ولكنه ظل يماطله إلى أن نَفِدَ صبره وعندما سنحت له الفرصة هرب من مصر في سنة ٣٥١ هـ وذم كافوراً بقصيدته المشهورة :

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ بما مضى أمْ لأمْرٍ فيكَ تجْديدُ ؟

ووصل إلى الكوفة ومنها توجه إلى بغداد وحضر فيها بعض مجالس الوزير المهلبي العلمية وترفع عن مدح المهلبي فغاظه ذلك وأغرى به شعراء بغداد الذين تباروا في هجائه والنّيْل منه وفيهم ابنُ الحجّاج وابن سُكّرةَ الهاشمي وأبو علي الحاتمي فلم يردَّ عليهم احتقاراً لهم [1] .

وأرسل إليه ابن العميد من أرّجانَ فسار إليه ومدحه ، ثم اتصل بعَضُدِ الدولة في شيرازَ ثم ارتحل عنها فقتل في الطريق ٣٥٤ هـ قريباً من النعمانية في الجانب الغربي من سَوادِ بغدادَ والذي قتله هو فاتك بن أبي جهل الأسدي وقتل معه ابنه مُحَسَّداً وغلامَهُ مُفْلِحاً [2] وذكر الباحثون أن سبب قتله إياه هو هجاؤه ابنَ أختِ فاتك ضبّةَ بنَ يزيدَ العُتْبي .

المتنبي وسيف الدولة :

خرج المتنبي من سجنه فقيراً ناقماً على الزمان وأهله وأخذ يتردد على الحكام فيمدحهم فلا يجد عندهم تقديراً لا لنفسه ولا لشاعريته ولقد مدح علي بن منصور الحاجب بقصيدته التي مطلعها :

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا اللاّبساتُ من الحريرِ جَلابِبا

---

(١) العمدة (١ / ٩٢) .
(٢) الكامل (٨ / ٢٢٣) .

فلم يُعْطِهِ إلاّ ديناراً واحداً ولذا سميت الدينارية [1] .

وكان المتنبي آنذاك يشكو الفَقْر وسوء الحال ويصرّحُ بذلك في قصيدة مدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي :

لمّا أقمْتَ بإنطاكيّة اختلفت ... إليَّ بالخبرِ الرّكبانُ في حَلَبا
فسرتُ نحوك لا ألْوي على أحدٍ ... أحُثُّ راحلتيَّ الفَقرَ والأدَبا
أذاقَني زَمَني بلْوى شرِقْتُ بها ... لو ذاقها لبَكى ما عاشَ وانتحبا [2]

ولقد روي أن المتنبي مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم [3] ولقد قالوا : إن أكثر ما نال شعره قبل اتصاله بسيف الدولة كان مائة دينار منحها له الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة [4] .

وشعر المتنبي في تلك الفترة ينحط في أغلبه عن شعره في الأطوار التي تلت . ولقد قال الواحدي : ولو طرح أبو الطيب شعره في صباه من ديوانه لكان أولى بـــه ثم اتصل المتنبي بسيف الدولة في سنة ٣٣٧ هـ فوفر له بعطائه السخي وصلاته الوافرة الهدوء والاستقرار ، ووجد في البلاط الحمداني كثيراً من المنافسين . والمنافسة تُذْكي الخيال وتثيرُ القريحة وصحب الأمير شاعره في الحروب التي خاضها فشهد المعارك الدامية وأبصر ضروباً من البطولات فوصفها بملاحمه الخالدة التي فاق فيها أقرانه وعلا فوق كافة الشعراء .

فلقد صور في سيفياته بطولات الأمير وذكر القواد وتنظيم الجيوش والخيول والرماح المحطمة والسيوف المتكسرة والدماء السائلة كما وصف

---

(١) اليتيمة (١ / ٩٥) .
(٢) الديوان ص (٧٢) .
(٣) خزانة الادب ـ البغدادي ـ ص (٣٤٦) .
(٤) المرجع نفسه ص (٣٥٠) .

سماء المعارك والغبار المثار والمنعقد في الفضاء والجبال التي طواها الجيش الحمداني والأنهار والسهول التي قطعها . ولقد أكثر وأجاد في وصف المعارك حتى قال ابن الأثير واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متلثماً وذاك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى يظنّ أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقته في ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدى إليه عِيانُه [1] .

ولقد أقام المتنبي برحاب الأمير عشر سنين وقال فيه غرر قصائده وعيون شعره التي بلغت نحو ثلث ما قال في ديوانه . وسجل بها مآثر سيف الدولة وبطولاته وانتصاره وهزيمته والضربَ والطعنَ والأسر والسّبي كما سجل الشاعر أحاسيس نفسه في مشاعرها المختلفة من انقباض وانبساط واضطراب .

ولم يألُ سيف الدولة جهداً في برّ شاعره ومنحه العطاء والصلات وإغداق النعمة عليه وإكرامه وإعظامه ، وقد روى البغدادي أن سيف الدولة أمر بحساب ما أعطى للمتنبي فكان خمسة وثلاثين ألف دينار في مدة أربع سنوات[2] ولقد هدأت نفس الشاعر في رحاب الأمير فترك الشكوى وابتعد عن حديث الثورة الذي طفح به شعره في الماضي .

ولقد وجد الشاعر في سيف الدولة الأمير الذي ينشُدُه ورأى الأمير في المتنبي فتىً أبيّاً جديراً بصداقته وشاعراً مجيداً خليقاً بتخليد بطولاته وانتصاراته فكان يصحبه في حله وترحاله ، وكان يفضّله على الشعراء كافة فاستطاع أن يحتل الصدارة وينتزع من الشعراء لواء الإمارة

---

(١) جواهر الادب ـ احمد الهاشمي (١ / ٣٧٣) .
(٢) خزانة الادب ـ البغدادي (٢ / ٣٥٢) .

أجاد المتنبي في سيفياته وقوي شعره في رحاب الأمير الحمداني وأخرج غرر شعره، ولم يجُدْ شعرُه في زمنٍ جَوْدَته أيام سيف الدولة وذلك لأسباب أهمها : أن المتنبي لم يجد ما يغذي نفسه وعواطفه في نواحيها المختلفة كما وجد في هذه الأيام فالمتنبي عربي يعتز كل الاعتزاز بعربيته فكان يحتقر كافوراً لاعجميته ويسب ابن خالويه لأعجميته ويقول في أبياته :

تُهابُ سيوفُ الهندِ وهي حدائدٌ فكيف إذا كانت نِزاريّةً عَرْبا

فكان لهذا إذا مدح كافوراً وغيره لم يُخْلِصْ ولم يواتِهْ طبعُه وإذا مدح سيف الدولة مدح عربياً لا يرى غضاضةً في مدحه وانثالت عليه المعاني انثيالاً [1] .

كما أن المتنبي نِزْبُ سيف الدولة فهُما من مواليد سنة ٣٠٣ هـ واتحاد سنهما كان من عوامل الانسجام بينهما وتقوية أواصر اتصالهما .

وعامل آخر من شأنه أن يلائم الطبع ويقوي الاستعداد ويلهب العاطفة ذلك أن سيف الدولة فارس شجاع وقائد محارب ، والمتنبي فارس شجاع جريء يعشق الضرب والطعان . وقد صحب الأمير في عدة معارك وفي إحدى هذه المعارك فر الجنود والقواد ولم يبقَ حول سيف الدولة غير ستة أحدهم المتنبي [2] .

كما أن سيف الدولة شاعر مُجيدٌ وناقد بارع ذو بصر بالشعر [3] والمتنبي شاعر فذٌّ وثقافته واسعة وقدرته في مجال الأدب كبيرة ، هذا بالإضافة

---

(١) فيض الخاطر ـ احمد امين ص (٧٩) .
(٢) اليتيمة (١ / ١٥ ، ٣٤) .
(٣) اليتيمة (١ / ١٥) .

إلى ندوة الأمير التي جمعت نفراً من العلماء والشعراء والموسيقيين والفلاسفة مما لم يجتمع بباب أحد من الملوك . وهذا من شأنه أن يهيىء لكل من يعيش في رحاب البلاط حظاً كبيراً من الثقافة والمعرفة وينمي الشاعرية لدى ذوي المقدرة والاستعداد .

وكان للمتنبي خصوم يبحثون عن ذامٍ يشوهون به سمعته وعيب ينقصون به شعره وينزلون به من قدره ويحاولون جادين أن يهدموا مجده ويقوضوا مدحه . فكان يجهد ليعمل على زيادة غيظهم ويبالغ في إرغـــامهم وردّ سهامهم إلى نحورهم .

وعامل آخر له أهميته في توطيد صلة الأمير بالشاعر ومن شأنه أن يعمل على إجادة شعره وهو اشتراك المتنبي وسيف الدولة في التشيع إلى العلويين ومناصرة دعاتهم ومدهم بالمال دائماً[1] .

كما يجب ألاّ يغْرُبَ عن بالنا الهباتُ والصلاتُ والجوائز السنيّة التي كان سيف الدولة ينعم بها على المتنبي والتي كانت تدفعه للإجادة وتحثه على أن يسعى بكل جهده للبحث عن المعاني العميقة والأفكار الدقيقة وهو القائل :

تركتُ السرى خلفي لمن قلّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماكَ عسجدا
وقيدت نفسي في هـــواكَ محبّةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا[2]

المتنبي وفساد أمره مع سيف الدولة :

كثر حساد المتنبي وخصومه في بلاط الأمير من الشعراء والأدباء ويرى

---

(١) خزانة الأدب (٢ / ١٤٤) .
(٢) اليتيمة (١ / ١١٦) .

طه حسين أنه ليس غريباً أن تكره حاشية الأمير ولا سيما الشعراء والأدباء تقدم الشاعر وما صحبه من غطرسة عليها واستعلاء وليس غريباً أن تضيق بالشاعر حين ترى أن شعره يقع من الأمير موقعاً حسناً ثم تبغضه أشد البغض حين ترى الأمير يؤثره أشد الإيثار . وهي مكرهة أن تلزم الصمت عن هذا الشاعر الذي يسودها في نفسها وفي مكانتها من صاحب القصر ثم يستأثر عنها بالحظوة [1] .

وربما كان من أشد خصومه أبو العباس النامي الشاعر وأبو فراس الحمداني وابن خالويه النحوي .

لقد كان النامي يحتل مكانة الصدارة في البلاط الحمْداني حتى جاء المتنبي فحلّ محلّه ونزل منزلتَه فغاظ ذلك النامي وجاء في الصبح المنبي أن أبا فراس قال لسيف الدولة : ان هذا المتشدق كثير الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره [2] .

كما أن المتنبي كان دائم الجدل مع ابن خالويه في المسائل اللغوية فكان ذلك يثير غضبه ونقمته على الشاعر ، هذا بالإضافة للصداقة الحميمة التي كانت تربط ابن خالويه بأبي فراس والتي كانت سبباً في عدائه للمتنبي .

يضاف إلى ذلك أن صفات المتنبي من غرور وشعور بالعظمة وتعالٍ واحتقار للآخرين كانت تثير النقمة عليه والعداء له ولقد عرض بالشعراء الذين ضمهم بلاط الأمير الحمداني فرماهم بأنهم أدعياء الشعر وأنهم ليسوا إلاّ صدى لصوته فقال :

---

(١) مع المتنبي ص (٢٥٨ ــ ٢٥٩) .
(٢) الصبح المنبي ص (٤٥) .

ودع كلّ صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وكيف لا ينقم عليه الشعراء في بلاط الأمير وهو القائل :

أنا السابقُ الهادي إلى ما أقولهُ إذْ القولُ قبل القائلينَ مقولُ

ولا شك أن أولئك الشعراء قد بيتوا المكايد للمتنبي وناصبوه العداء ، وقد صرح بذلك حيث يقول :

أفي كلّ يومٍ تحت ضبني شُوَيْعِرٌ ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطـاولُ
لساني بنُطْقٍ صامتٍ عنه عاذلٌ وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلُ
وأتعبُ ما ناداكَ مَنْ لا تجيبُهُ وأغْيَظُ من عاداكمن لا تشاكل[1]

وحيث يقول لسيف الدولة :

أرى المتشاعرينَ غُروا بـذمي ومَنْ ذا يحمَدُ الداء العُضالا
ومَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ يَجِدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا[2]

وديوانه حافل بالشعر الذي يتحدث عنه الحساد والوشاة والناقمين :

وذهب الأستاذ محمود شاكر إلى أن العداوة بين أبي فراس والمتنبي لا ترجع إلى منافسة في الشعر وإنما السبب الحقيقي في هذا العداء راجع لحب المتنبي لخولة – شقيقة سيف الدولة – الذي جلب كيد أبي فراس ثم أبي العشائر[3] .

---

(١) الديوان (٣ / ٢٩٤) .
(٢) المرجع نفسه ص ٤٢٩ .
(٣) أبو الطيب المتنبي بعد ألف سنة – صحيفة دار العلوم – مقال بعنوان المتنبي يعشق (١٩٩ – ٢٠٢) .

وقال بمثل هذا القول محمد سعيد العريان والدكتور المحاسني [1] ومارون عبود [2] الذي يرى في قصيدة رثاء المتنبي لخولة شبهة تدعم ظن الأستاذ محمود شاكر ، وإن ما حدث بين المتنبي وسيف الدولة يثير شكاً قوياً وهو يتساءل عما يخاف الشاعر ليعقب على قوله :

يظنُّ أنَّ فؤادي غيرُ ملتهبٍ وأنَّ دمع جفُوني غيرُ مُنسكبِ

بقوله :

ولا ذكَرَتُ جميلاً من صنائعها إلاّ بكيتُ ، ولا ودّ بلا سبَبِ

فمثل هذا البسط بل مثل هذا التعليل لا يطلبا من الشعراء فهي إذن عاطفة حاول الشاعر إخفاءها فأبتْ إلاّ أن تظهر وتبين . ثم يقول : — بماذا نعلل هذا الحنين الدائم إلى سيف الدولة وهو مصطبغ بألوان الحب أشد اصطباغ .

رحَلتُ فكم باك بـأجفان شادنٍ عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغمِ
ولوْ أنَّ ما بي من حبيب مُقَنَّعٍ عذَرْتُ ولكن من حبيب معَمَّمِ
رمَى واقعي من دون ما كنت أتّقي هوًى كاسرٌ كفيّ وقوْسي وأسهُمي

كما ذهب الأستاذ إبراهيم العريض إلى تأكيد قصة الحب المزعومة قائلاً : ان الفضل في كشف النقاب عن هذا الجانب الخفي من حياة المتنبي يرجع إلى الأستاذ محمود شاكر [3] .

ويرى الدكتور طه حسين أن القصيدة التي رثى بها أبو الطيب خولة لا

---

(١) المتنبي ص (٣١ / ٤٨) .
(٢) فن المتنبي بعد ألف عام ــ يوسف العريض ــ ص (٢٤٢ / ٢٤٣) .
(٣) فن المتنبي بعد ألف عام ــ ابراهيم العريض ــ ص (٢٤١) .

تدل على صلة قريبة أو بعيدة بينه وبين الفقيدة وكل ما يمكن أن يُفهَم منها أن الشاعر يتحدث عن بر الفقيدة له وإحسانها إليه كما كانت تحسن إلى غيره من القصاد وأهل الأدب [1] . وإني أرى أن المتنبي رجل يجري وراء المجد ويبحث عن العُلا والوصول إلى الولاية وقد أفنى عمره وهو يتطلع إلى تحقيق ذلك ولا يهتم إلاّ بنفسه ولا يعيش إلاّ لها فهو كما يصفه شوقي ضيف : — كان يعيش في نفسه ويحس آماله ومطامحه وما يجيش في صدره من ثورة على الزمن والمجتمع [2] واستبعد عدد من الباحثين حكاية الحب هذه ومن هؤلاء محمد كمال حلمي [3] وأحمد الشايب [4] وشفيق جبري [5] وشوقي ضيف .

وأود أن أضيف أن شخصية الأمير الحمداني العظيمة الجديرة بالحب والإعجاب كان لها أثر في استحداث أسلوب فني جديد في شعر المتنبي بمخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبته المحبوب والصديق . ولقد تنبه إلى ذلك الثعالبي وعده من محاسن شعر المتنبي حيث قال : — وهو مذهب له تفرد بـه واستكثر من سلوكه اقتداراً منه وتبحّراً في الألفاظ والمعاني ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك في مثل قوله :

مالي أكتُمُ حُبّاً قد بَرَىَ جسَدي وتدَّعي حُبَّ سيف الدولة الأممُ ؟
إن كان يجمعنا حُبٌّ لغُرَّتِـهِ فليتَ أنّـا بقـدر الحبّ نقتسمُ

وقوله لكافور :

---

(١) مع المتنبي (٢١١ — ٢١٢) .
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص (٣٠٥) .
(٣) ابو الطيب المتنبي (١٩٠ — ١٩١) .
(٤) ابحاث ومقالات ص (٨٣) .
(٥) المتنبي ص (١٥١) .

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيفُ هوًى يُبْغى عليهِ ثوابُ
وما شِئتُ إلاّ أن أدُلَّ عَواذِلي على أنَّ رأيي في هَواكَ صوابُ

وهذه الخاصية وجدت في شعر المتنبي بعد اتصاله بسيف الدولة وعلة ذلك أن الأمير الحمداني نال إعجاب الشاعر وملك قلبه ورأى فيه المَثَل الذي يعشقه فهو البطل المجاهد والفتى العربي الذي خاض المعامع وواقع الروم عشرين عاماً والمتنبي كما نعلم متعصب للعروبة وكاره للعجم :

وإنما الناسُ بالملوكِ ومَـا تُفْلِحُ عُرْبٌ ملوكها عَجَمُ

ونخلص من هذا كله إلى القول بأننا لا نميل مطلقاً إلى الزعم القائل بحب المتنبي لخولة وبأن هذا محض من الوهم والخيال لا يثبت أمام الحقيقة والواقع .

ونعود إلى القول بأن المتنبي أنشد سيف الدولة آخر قصيدة له في سنة ٣٤٥ هـ تلك التي أولها :

عقْبى اليمين على عقْبى الوغى ندَمُ ماذا يُزيدُكَ في إقدامكَ القسَمُ

ثم يمم شطر الكنانة بعد خلافه الذي تحدثنا عنه مع ابن خالويه الذي ضربه على وجهه بمفتاح من حديد فأسال دمه على وجنتيه وثيابه .

ولقد تنقل المتنبي بعد رحيله عن حلب بين مصر والعراق وبلاد فارس ومدح الملوك والأمراء ولقي في ربوعهم التقدير والإكبار ، إلاّ أنه لم تَحْلُ بعد سيف الدولة أيامُه وتراجع شعره بعد مفارقته وعندما سئل عن ذلك قال : — قد تجوزت في قولي وأعفَيْتُ طبعي واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان [1] ومن المؤكد أن فراقه هذا كان مؤلماً لقلبه عزيزاً على نفسه .

---

(١) الصبح المنبى ص (٢٤٠) .

ولقد كاتب الأمير الحمداني أبا الطيب بعد رحيله عن مصر وعودته إلى الكوفة داعياً إياه إلى العودة إلى حلب [1] فأجابه المتنبي بقصيدة رائعة يتضح فيها إكباره للأمير ولكنه يتغاضى عن أمر العودة إلى البلاط الحمداني فقال:

مـــالَنا كُلُّنا جَوىً يا رسول أنا أهْوى وقَلبُكَ المَتْبولُ
كلّما عادَ مَنْ بَعَثْتُ إليها غـــارَ منّي وخانَ فيما يقولُ

إلى أن يقول :

كيف لا تأمنُ العراقُ ومصرٌ وسراياكَ دونهـــا والخيولُ ؟
لو تحَرّفتَ عن طريق الأعادي رَبَطَ السَّدْرُ خيلهمْ والنّخيلُ
أنتَ طولَ الحياةِ للروم غازٍ فمتى الوعدُ أن يكونَ القفولُ ؟
وسوى الروم خلفَ ظهرك رُومٌ فعلى أيّ جانبيْكَ تميلُ ؟
قعد الناس كلهم عن مساعيـ ـكَ وقامتْ بها القَنا والنُّصُولُ
ما الذي عندهُ تُدارُ المَنايـــا كالّذي عندهُ تُدارُ الشَّمُولُ

وسمع المتنبي بوفاة أخت سيف الدولة « خولة » فرثاها قائلاً :

يا أُخْتَ خَيرِ أخٍ يا بنتِ خيرِ أبٍ كَنايَةً بهما عن أشرفِ النّسَبِ
طَوى الجزيرةَ حتى جاءني خَبَرٌ فزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ
حتّى إذا لم يدَعْ لي صدقهُ أمَلاً شَرِقْتُ بالدّمْعِ حتى كاد يشرق بي

وعلى أثر ذلك أرسل إليه الأمير الحمداني مالاً وهدية وكتب إليه يدعوه للعودة إلى حلب إلاّ أن المتنبي اعتذر وبعث إليه يقول :

---

(١) ذكرى ابي الطيب ــ عبد الوهاب عزام ــ ص (١٧٣) .

فهمتُ الكتابَ أبَرَّ الكتُبْ فسمْعاً لأمر أميرِ العَرَبْ
وطوعاً له وابتهاجاً بـــــه وإن قصّرَ الفعل عما يجب
وما عاقني غيرُ خوف الوُشاة وأن الوشايات طرُق الكَذِبْ

وخلاصة القول أن سيف الدولة كان عظيماً وكان المتنبي شاعراً عبقرياً أحبّ كلّ منهما الآخر وسعى الحسّادُ بالنميمة ففرقوا بينهما . ولقد كان كل منهما متمماً جزءاً من الثاني وممهداً له طريق البقاء والخلود .